الفصل السادس

إنجازات الحجاج

- الفتوحات فى عهده
  فتوحات آسيا الوسطى
  فتوحات بلاد السند
- بناءه مدينة واسط
- إسهاماته فى التنمية المجتمعية

الفتوحات فى عهده

ثــورة ابن الأشــعث انتهــت نظرياً بعــد موقعة ديــر الجماجم وانتهــت فعلياً عام خمســة وثمانين هجرياً بوفــاة عبد الرحمن بن الأشعث وبانتهاءها استقرت أركان الدولة ودانت الأقاليم لبنى أمية وتأكد للناس أن المقاومة المسلحة لن تأتى بنتيجه وإذا جاءت فستأتى بنتائــج دموية لا يرغب بها أحد فالتــزم الناس بطاعة عبد الملك بن مــروان ورفضوا أى محاولــة للثورة مجدداً .. مــا فعله الحجاج من إراقة للدماء بعد تلك الثورة كان كفيلاً بأن يفكر أى شخص ألف مرة قبل أن يقدم على خطوة الثورة مرة أخرى ..

* * *

الحجــاج لم يكن مجرد أحد ولاة عبــد الملك بن مروان ومن وراءه ابنــه الوليد بن عبد الملك .. الحجاج كان الرجل الثانى فى الدولة .. والى بمنزلة نائب الخليفة .. كان مسئولاً عن المشرق كله يعين ويعزل ولاته بالكامل حســب ما يرى ولكن بموافقة من عبد الملك بن مروان بالطبــع .. وكان أيضــاً أمير الحرب وقائداً أعلى للجيوش ومشــرفاً عاماً على فتوحات المشــرق .. بعد اســتباب الأمــور لبنى أمية رأى الحجاج أن يشغل أهل العراق فى الفتوحات فتتفرغ فيها طاقاتهم فلا يجتمعوا على القيام بثورة مرة أخرى .. كان للأمر بعداً سياســياً بلا شــك ولكنه فى المقابل كان فيه خيراً وفتحاً للمسلمين ونشراً للإسلام فى أصقاع بعيدة كان الوصول إليها يعتبر مستحيل ..

فتوحات آسيا الوسطى

قتيبة بن مسلم الباهلى .. واحد من الذين اعتمد عليهم الحجاج فى فتوحات وسط آسيا .. ولد قتيبة فى بيت سياسى وعسكرى .. والده هو مسلم بن عمرو الباهلى أحد أصحاب مصعب بن الزبير أيام ولايته للعراق فتأثر قتيبة بتلك الأجواء وتعلم الفروسية والضرب بالسيف فصار مقاتلاً فذاً .. اتسمت شخصية بعدد المزايا ولكن أهمها كان الشجاعة والقيادة فلفت إليه أنظار واحد من قادة المسلمين هو المهلب بن أبى صفرة الذى توسم فيه نبوغه العسكرى فقدمه إلى الحجاج وكان ممن يقدرون الشجعان فيضعهم حيث يستحقون ..

* * *

قضى قتيبة تحت أعين الحجاج ثلاث سنوات يختبره فيها ويجربه فى مناصب القيادة المختلفة وحارب معه ضد ابن الأشعث فكان يبلى حسناً حتى جاءت اللحظة المناسبة ورشحه الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ليوليه فجعله على إمارة الرى ثم وضعه على خراسان وكان ذلك عام ستة وثمانين ومنذ وقتها لم يشغل بال قتيبة سوى الجهاد والفتوحات ..

قبل قتيبة كان على إقليم خراسان المهلب بن أبى صفرة حتى توفى عام ثلاثة وثمانين هجرياً ثم تولى بعده إبنه يزيد حتى عام

ستة وثمانين هجرياً وكان الحجاج قد أمقته بسبب كلمة عبد الله بن عامر السابق ذكرها فحملها له الحجاج حتى عزله عن خراسان و وضع قتيبة مكانه .. وخراسان كانت أخر ما وصل إليه المسلمين ولم يفتح بعدها مدن أو أقاليم جديدة بسبب الإضطراب الداخلى التى تسببت فيه الثورات على الحجاج وبنى أمية فأراد الحجاج بتولية قتيبة أن يضخ دماءاً جديدة لعلها تكون سبباً فى ضم أراضى جديدة إلى الدولة الإسلامية ..

* * *

بالفعل لم يخيب قتيبة ظن الحجاج فانطلق ولمدة عشر سنوات كاملة لم يضع فيها السيف يوماً واحداً فتح فيهم المدينة تلو الأخرى حتى دانت له آسيا الوسطى كلها ووصل حتى دخل أرض الصين .. فى البداية سيطر على الأراضى المتاخمة لخراسان وهى المنطقة التى تقع شمال أفغانستان حالياً ..ثم قام بفتح طخارستان السفلى وهى المناطق التى تقع فى حدود أفغانستان وباكستان حالياً .. ثم سار إلى مدينة بُخارى وسمرقند واللذان يقعان فى حدود أوزبكستان حالياً .. بعدها فتح خوارزم وأكمل فتح إقليم سجستان والذى ينتمى إلى دول إيران وأفغاستان وباكستان حالياً .. بعدها عبر نهر سيحون أو كما يسمى حالياً نهر سيرداريا عند دول طاجيكستان وكازخستان وضمها إلى الدولة الإسلامية واستطاع أيضاً ضم دولاً أخرى مثل تركمانستان

وقرغيزيا حتى وصل إلى مدينة كاشـغر داخل حدود الصين حالياً بل وأجـبر وقتها ملك الصين على إعطـاء الجزية درءاً لخطر القتال مع المسـلمين وكان ذلك عام ستة وتسـعين هجرياً أخر أعوامه فى ولاية خراسان وما بعدها ..

* * *

قتيبة كان فى موضع القيادة بسبب تميزه بالطبع ولكن كان هناك عوامل سياسـية إضافية تحكم بقاءه فى منصبه وهى وجود الحجاج علـى ولاية العراق ووجود الوليد بن عبد الملك على كرسـى الخلافة .. عام خمسة وتسـعين هجرياً توفى الحجاج وبعدها بشهور توفى الوليد بن عبد الملك .. كان يمكن أن يظل قتيبة فى منصبه لولا أن من بويع بالخلافة بعد الوليد كان شـقيقه سليمان بن عبد الملك وقد كان بينه وبين الحجاج وقتيبة خلافات كثيرة بسـبب أنهما وافقا الوليد على خلعه من ولاية العهد وتوليه ابنه مكانه .. عندها أدرك قتيبة أن أيامه معدودة فى ولاية خراسان ..

* * *

عند تلك المرحلة اختلفت الروايات فى أمر قتيبة بن مسلم فمنهم مـن قال أنه ظل على ولاية خراسـان حتى عهد عمر بن عبد العزيز ومنهـم من قال أنه تعرض لخيانة من جنـوده الطامعين فى الإمارة

فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى سليمان بن عبد الملك ولكن الأشهر والله اعلى وأعلم أن قتيبة لما علم بمصيره قرر أن يستخدم أخر الوسائل المتاحة للضغط على سليمان فأرسل إليه رسولاً يحمل ثلاث رسائل وأمره أن يعرض عليه الرسالة الأولى فإذا كان بجواره يزيد بن المهلب وقد أعطاه الرسالة ليقرأها فيناوله الرسالة الثانية فإذا ما أعطاها ليزيد ليقرأها يناوله الرسالة الثالثة ..

* * *

فى الرسالة الأولى كتب قتيبة تهنئة إلى سليمان بمناسبة جلوسه على كرسى الخلافة وذكر فى الرسالة بلاؤه فى الفتوحات وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه سيظل فى طاعته إذا ما ظل على ولاية خراسان .. فلما قرأها أعطاها ليزيد عندها قام الرسول بإعطائه الرسالة الثانية ..

فى الرسالة الثانية ذكره مرة أخرى بفتوحاته وكيف أن ملوك العجم يهابونه ثم ذم فى آل المهلب وانتقص منهم وحلف بالله أنه إذا ما استعمل يزيد على خراسان فإنه سيخلعه ومن معه من جنود .. فلما قرأها أعطاها ليزيد ليقرأها فقام الرسول بإعطاءه الرسالة الثالثة ..

فى الرسالة الثالثة قال فيها أنه قد خلعه فلما قرأها تغير لونه

ولم يعطها ليزيد وجاء برسول قتيبة فى المساء وكتب له عهداً ببقاء قتيبة على خراسان وأرسل معه واحداً من رجاله لتأكيد الخبر ..

* * *

فى نفس الوقت هناك فى خراسان كان قتيبة يشك فى قبول سليمان أمر توليته من جديد بعد ما كان من أمر تلك الرسائل ووافقه على ذلك أخاه عبد الله وشجعه على خلع سليمان وحشد الناس عليه فوصل الخبر إلى رسول سليمان وهو فى مدينة حلوان غرب إيران حالياً فترك رسول قتيبة وعاد إلى سليمان ليُعلمه بما حدث فأصبح عندها خلع سليمان أمراً واقعاً ..

فى خراسان قام قتيبة فى الناس خطيباً يذكرهم ببلاؤه معهم وكيف أنه أكرمهم وفعل كذا وكذا وكيف أن سليمان سيأتيهم مرة أخرى بيزيد بن المهلب فيقصيهم ويفعل بهم ويفعل ويقرب إليه عشائره من قبائل اليمن وصار يذكرهم بمنشأه وأنه مثلهم من أهل العراق إلى أخر كل الأمور التى من شأنها حثهم على مساندته ولكن الناس رفضت خطابه واستمرت على طاعة سليمان فغضب عليهم وأساء إليهم حتى ثارت عليه القبائل وخلعوه وجعلوا عليهم رجلاً يدعى وكيع بن أبى سود فقتل قتيبة وجميع أهله وقطع رأسه وأرسلها إلى سليمان بن عبد الملك فكافأه بتوليته خراسان ..

بعد عشــرة أشهر بالتمام اســتطاع يزيد بن المهلب بمساعدة عبد الرحمــن بن الأهتم وهو واحد من المقربين لســليمان بن عبد الملك أن يقنعاه بعزل وكيع عن خراسان وتولية يزيد بن المهلب مكانه وأظهرا له أن أمر خلع قتيبة له كان مكيدة أعدت له وأن قتيبة لم يخلعه حقاً فاستجاب سليمان لكلام عبد الرحمن وعزل وكيع وحبسه وتولى يزيد بن المهلب أمر خراسان مرة أخرى ..

وســواء كان قتيبة خلع ســليمان أم لم يخلعه فهذا علمه عند الله وقد اختلفت فيه الروايات ولكن ما لم يختلف عليه أحد أن قتيبة بن مسلم الباهلى كان أحد أهم أسباب إنتشار الإسلام فى دول وسط آسيا وأن كل مــن قــال لا إله إلا الله فى هذه البــلاد إلى يوم الدين فهو فى ميزانه وفى ميزان الحجاج من قبله وحسابهم وحسابنا على الله ..

* * *

انظر للاستزادة :

(*) البداية والنهاية لابن كثير – الجزء التاسع – ص ١٦٧ : ١٦٩
(*) سير أعلام النبلاء للذهبى – الجزء الرابع – الطبقة الثانية – ص ٤١٠ / ٤١١
(*) الكامل فى التاريخ – (٥٢١/٤ : ٢٠/٥) – ص (٦٤٤ : ٦٦٨)
(*) تاريخ الطبرى الجزء السادس – ص ٤٢٤ : ٥٢٢

فتح بلاد السند

الجناح الثانى للحجاج فى شأن فتوحات المشرق فى عهده كان موجهاً إلى بلاد السند حيث تقع دول باكستان والبنجاب وشمال الهند حالياً .. بدأ الأمر عندما إرتحل بعض التجار العرب للتجارة فى جزر الياقوت أو سيريلانكا حالياً ولكن بعد فترة توفى التجار وكسدت التجارة فقرر أبناؤهم وكانوا من الإناث العودة مرة أخرى والعيش بالعراق فحملوا ما بقى من تجارتهم فى سفينة وهموا عائدين فاعترضهم بعض القراصنة أثناء رسوهم بميناء الديبول أو ميناء كراتشى فى باكستان حالياً فطار الخبر إلى الحجاج الذى خاطب ملك السند وكان اسمه ذاهر بن صعصعة إلا أنه تحجج بأن من اختطفهم لصوص لا يقدر عليهم رغم أن أمر الإختطاف كان بعلمه فجهز الحجاج جيشين لاستعادة النساء المختطفات ولكن تجهيزهما لم يكن على الوجه الأمثل بسبب ضيق الوقت فهزم الجيشان أمام قوات ذاهر ومعها بدأ الحجاج يفكر فى اختيار قائد جديد يستطيع أن يتحمل مسئولية الفتح واستعادة النساء ..

* * *

محمد بن القاسم الثقفى .. ولد بالطائف عام إثنان وسبعون هجرياً لأسرة من أشراف ثقيف .. جده محمد بن الحكم من كبار ثقيف .. والده هو القاسم بن الحكم الثقفى ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفى

والــذى ولاه الحجاج ولايــة البصرة فى عهده .. نشــأ محمد الطفل الصغير فى بيئة قيادية عسكرية وقد وجد أغلب رجال قبيلته ثقيف وقد تولوا مناصب عدة فكان ذلك له أكبر الأثر على شخصيته فأصبح واحداً من القادة العسكريين وعمره لم يتجاوز السبعة عشر عاماً ..

قرر الحجاج أن يولى مهمة فتح بلاد الســند إلى محمد بن القاسم وكان ذلك عام تســعين هجرياً فقبل الشــاب الصغــير المهمة ولكنه اشــترط أن يتم تجهيز الجيش جيداً وأن تســتمر مهمة فتحه لبلاد الســند كلها ولا يقتصر الأمر على استعادة النساء وأن يرافق الجيش البرى أســطول بحرى لإنجاز المهمة فى أســرع وقت فقبل الحجاج وبعــث بطلبه إلى الوليد بن عبد الملك يطلب منه الإنفاق على الجيش مع وعده أن كل درهم ســيصرف على ذلك الجيش سيعود إلى خزينة الدولة وقد تضاعف إن شاء الله فقبل منه الوليد وأمده بما يريد وقيل أن الحملة على الســند تكلفت ســتون مليون درهم وقد أفاء الله على دولة الإســلام بعد الفتح بغنائم قدرت بمائة وعشــرين مليون درهم وهو ما وعد به الحجاج ..

* * *

بدأ الفتح بالســيطرة على ميناء الديبول بعد معركة طاحنة جمع لها الســنديين جل طاقتهــم ولكن الله أفاء على المســلمين بالنصر .. بعدها اســتقدم محمد بن القاســم أربعة آلاف من المســلمين للإقامة

بالمدينة تأكيداً لتبعيتها للمسلمين وبنى فيها المساجد وطمس الهوية الوثنية بها وفعل مثل ذلك فى كل المدن التى فتحها حتى غير التركيبة السكانية والجغرافية للمدن السندية ..

استمرت فتوحات محمد بن القاسم لمدة سنتين بنجاح كبير حتى لم يجد ذاهر ملك السند مفراً من اللقاء فأعد جيشاً كبيراً لمواجهة جيش المسلمين والذى كان تعداده وقتها قد وصل إلى قرابة العشرين ألف مقاتل بعد انضمام من أسلم من أهل المدن التى فُتحت فدارت بينهم معركة عظيمة هى أصعب معارك محمد بن القاسم فى فتوحات بلاد السند وانتهت بانتصار المسلمين وقُتل ذاهر وأسرت ابنته وكان اسمها صيتا فلما رأت زوجته ذلك أحرقت نفسها مع بعض جواريها حتى لا يقعوا فى الأسر وكان ذلك متبعاً حسب ديانتهم ..

* * *

لم يكتفى محمد بن القاسم بما فعله وإنما استمرت فتوحاته حتى وصل إلى إقليم البنجاب وفتحه وفتح بعده إقليم مولتان وكان ذلك عام ستة وتسعين هجرياً وعندها سار عليه ما سار على قتيبة بن مسلم الباهلى فعلى ما يبدو أن بوفاة الحجاج ومن بعده الوليد بن عبد الملك قد فقد الثقفيين ظهرهم الذى كانوا عليه يستندون وهذه هى حال السياسة فى كل زمان ومكان .. للأسف فقد أُخذ قادة عظام مثل قتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم بذنب قسوة ودموية قائدهم

السابق الحجاج بن يوسف فكان الإنتقام منه بعد وفاته فى شخوص من عينهم و ولاهم ..

* * *

بعد استلام سليمان بن عبد الملك مقاليد الأمور أرسل كتاباً إلى محمد بن القاسم يأمر بعزله من قيادته للجيوش فحزن الشاب ذو الثلاث والعشرين عاماً ولكنه امتثل للأمر وانتشر الخبر بين الناس فحزن عليه جنوده وقادته وحتى المدنيين من أهل السند بعد ما رأوا منه عدلاً لم يتوفر لهم من حكامهم السابقين فقد كان مثالاً للحاكم العادل الشديد على الكافرين والرحيم بالمسلمين فلما علمت صيتا ابنة ذاهر ما حدث وأن أيامه أصبحت معدودة قررت الإنتقام منه فادعت عليه أنه راودها عن نفسها واغتصبها رغماً عنها وبسبب الأوضاع السياسية الجديدة فلم يجد محمد بن القاسم سنداً له عند الخليفة الذى أمر بإرساله إلى العراق وكان عليها صالح بن عبد الرحمن وكان واحداً من أكثر الكارهين للحجاج وقد تولى العراق فى إطار خطة سليمان بعزل كل من عمل مع الحجاج ..

* * *

لما أتى محمد بن القاسم العراق أراد صالح أن ينتزع منه اعترافاً بالجريمة التى ادعتها عليه صيتا فرفض وأصر على براءته من هذه

التهمة فأمر صالح بحبسه وتعذيبه حتى يعترف ولكنه كان مصراً على براءته وللأسف تم التعنت ضده بسبب قرابته من الحجاج فاستمر تعذيبه حتى توفى من شدة التعذيب وخسر الإسلام بطلاً عظيماً كان على وشك فتح بلاد الهند ولو كان مد الله فى عمره لكانت كل تلك البلاد وما تلاها تدين بالإسلام إلى يومنا الحالى ..

رحم الله قتيبة بن مسلم الباهلى ومحمد بن القاسم الثقفى وغفر لهما وجزاهما عمن أسلم بسببهما الفردوس الأعلى من الجنة ..

* * *

انظر للاستزادة :

(*) الكامل فى التاريخ – (٥٣٦/٤ : ٥٤٠/٤) – ص (٦٤٨ : ٦٤٩)
(*) الكامل فى التاريخ – (٥٨٦/٤ : ٥٨٩/٤) – ص (٦٦٢ : ٦٦٣)

بناءه مدينة واسط

من أبرز المظاهر المعمارية فى عهد الحجاج كان بناءه لمدينة واسط ولاتــزال تلك المدينة قائمة إلى الآن .. ولبنــاء المدينة قصة حيث أن الحجاج كان يعتمد على أهل الشــام فى تشــكيل أغلب جيشه ولما لم يكن لهم بيوت أو مســاكن خاصة بهم فقــد أنزلهم على أهل العراق وقد حدثت عدة مشاكل بسبب هذا القرار أبرزها ما حدث حين قرر تجهيز جيش من أهل الكوفة لتسييره إلى خراسان وكان ضمن جيش الكوفة شــاباً حديث الزواج فترك معســكره وعاد إلى زوجته وبينما هو عندها إذا بالباب طرقاً شــديداً فنظرت الزوجة من إحدى فتحات الباب فإذا به واحد من أهل الشام يطرق بابهم وهو سكران فأخبرت الزوجه زوجها أن هذا الرجل يأتيهم باستمرار ويسبب لهم المشاكل فأمرها زوجها بأن تفتح له الباب فلما دخل قتله وعاد إلى معســكره مرة أخرى وقال لزوجته أن ترســل لأهل الشــام لكى يأتوا فيأخذوا صاحبهــم وأمرها بأن تصدق الحجاج القول عندمــا تمثل أمامه فلما شهدت بما حدث قال الحجاج لأهل الشام :

(خذوا صاحبكم لا قود له ولا عقل فإنه قتيل الله إلى النار)

ثــم أمر بألا ينزل أحد على أحد وبدأ التفكير فى الإرتحال بأهل الشــام فيجد لهم مكاناً وســطاً يســتطيع عن طريقه تسيير الجيوش

حيثما شاء فنزل بمنطقة بين البصرة والكوفة ووقف يفكر فى إختيار مكان يعسكر به إذا بأحد الرهبان يركب حماراً يمر بالقرب منهم وإذا بالحمار يبول فنزل الراهب من على الحمار واحتفر مكان البول وأخذ الرمال وألقاها فى نهر دجلة وكان الحجاج يتابعه فلما رأى فعله اندهش وأمر بأن يأتوه به وسأله عن سبب إلقاؤه الرمال فى النهر فقال الراهب :

(نجد فى الكتب أنه يُبنى فى هذا الموضع مسجد يُعبد الله فيه مادام فى الأرض أحد يوحده)

فاستبشر الحجاج بحديثه وقرر بناء المدينة فى هذا المكان واختص المسجد بالموضع الذى أشار إليه الراهب وأسماها واسط لأنها تتوسط المسافة بين البصرة والكوفة والأهواز وتبعد عن كل منهم حوالى مائة وخمسون ميل وقد أُطلق عليها أيضاً واسط القصب بحكم أن الأرض التى بنيت عليها المدينة كانت مخصصة لزراعة القصب ..

* * *

و قد روى أنه بعدما انتهى الحجاج من بناءها سأل الحسن البصرى وكان عنده فى مجلسه فقال له :

(كيف ترى بناءنا هذا ؟)

فقال الحسن :

(إن الله أخــذ عهود العلماء ومواثيقهــم أن لا يقولوا إلا الحق .. أما أهل السماء أيها الأمير فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد غروك .. أنفقت مال الله فى غير طاعته يا عدو نفسه)

فنكس الحجاج رأسه حتى خرج الحسن ثم قال :

(يا أهل الشام يدخل على عبيد أهل البصرة ويشتمنى فى مجلسى ثم لا يكون لذلك معير ولا نكير ؟! ردوه على)

فخرجوا ليردوه ودعا بالسـيف يريد أن يقتله فلما دخل الحسن تمتم بكلمات لم يسمعها أحد وما هى إلا لحظة حتى لان له الحجاج ورحب به وأجلســه جواره ودعا بالطِيب فمسـح به لحيته ثم صرفه مكرماً فلما خرج من عنده تبعه الحاجب وقال :

(يقــول لك الأمير .. رأيتك تحرك شــفتيك وقد كنت هممت بك فماذا قلت فى دعائك ؟)

فقال الحسن :

(قلــت .. يا عدتــى عند كربتى ويا صاحبى عند شــدتى ويا ولى نعمتى ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإســحاق ويعقوب ويا كهيعص

بحق طــه ويس والقــرآن العظيم أرزقنى معــروف الحجاج ومودته واصرف عنى أذاه ومعرته)

فقال الحاجب عندها :

(بخٍ بخٍ لهذا الدعاء)

ثم أخبر به الحجاج فأعجب بالدعاء وأمر بأن يُكتب له ..[1]

* * *

انظر للاستزادة :

(*) فتوح البلدان للبلاذرى – أمر واسط العراق – ص ١٧٥ : ١٧٧
(*) الكامل فى التاريخ – ٤/٤٩٥ – ص ٦٣٧
(*) البداية والنهاية – الجزء التاسع – ص ٥١

(١) المنتظم فى تاريخ الأمم لابن الجوزى – باب ذكر ما جرى فى سنين الهجرة – ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين والقصة مُضَعَّفَة نسبياً

إسهاماته فى التنمية المجتمعية

الحجاج على الرغم من أن المشـهور عنه هو قصص سـفكه للدماء وما أكثرها ولكن كان لديه جانباً إدارياً جيداً جداً لا يمكن إنكاره أو التغاضى عنه فالحجاج استطاع خلال سنوات حكمه للعراق أن يصنع نقله نوعية عمرانياً وإدارياً وتنظيمياً ..

وإذا مـا نحينا جانباً أموراً مهمة تصـب فى ميزان الحجاج مثل حرصه على الجهاد وتوسـيع رقعة الدولة الإسلامية وحفظ أركانها مـن الفتن والثـورات وقتها وقد نختلف أو نتفق مـع طبيعة الدولة التى حافـظ عليها الحجاج ولكن فى النهاية هو حافظ عليها .. وإذا ما نحينا أيضاً جانب تعظيمه للقرءان وإعطائه أهله وإهتمامه بنشـر الدين والفقه وتوقيره للعلماء خاصة المؤيدين لبنى أمية فالحجاج سن قوانين من شأنها تطوير الشكل العام للدولة من كافة النواحى .. ومن أمثلة إصلاحاته العمرانية على سبيل المثال فقد قام الحجاج بالآتى :

– أمر ببناء مدينة واسط كما ذكرنا

– أمر بشق القنوات والأنهار لتساهم فى مضاعفة الرقعة الزراعية وتكتفى الدولة الإسلامية منها فلا يصيب الناس نقص من طعام

– أقـرض الفلاحين وسـهل مهمتهـم عن طريق توفير الماشـية لتساعدهم فى العملية الزراعية

– أنشأ الصهاريج لتخزين مياه الأمطار لتكفى أهل العراق وتخدم المسافرين خاصة فى مواسم الحج

– أمر ببناء الجسور لتسهيل حركة المواطنين خاصة وأن العراق لم يكن بها جسور عند مجيئه

– أمـر بحفر آبار المياه لتوفير المياة فـى المناطق المنقطعة لمراعاة المسافرين عبرها وهو ما ساهم أيضاً فى توزيع الكثافة السكانية

– أمر بتعبيد الطرق ومدها قدر المستطاع

* * *

و ليسـت الإصلاحات العمرانية فقط هى ما اشـتهر بها الحجاج وإنما اشـتهر أيضاً بإقرار إصلاحات مجتمعية تضبط إيقاع المجتمع وتراعيه مثل :

– أقـر وضع أمنى داخلى مسـتتب خاصة بعـد إنتهاء ثورة ابن الأشعث

– أمر بتعريب الدواوين بعد أن كانت تكتب بالفارسية

– كان أول مـن سـأل عن عدد حـروف المصحـف وأول من أمر بتنقيطه وإدراج علامات الإعراب عليه

– كان أول مــن جمع القرءان على قراءة واحدة وهى قراءة عثمان بن عفان بســبب إنتشار الإسلام ودخول كثير من العرقيات المختلفة فيه وبالتالى بدأوا فى قراءته بطريقة غير صحيحة

– أول من قسم القرءان إلى أجزاء وأحزاب ووضع به علامات تدل على المنتهى والمتبقى منه سواء ربعه أو ثلثه إلى أخره

– ضبط معايير العملة فى العراق وبلاد المشــرق بعد أن أمر عبد الملك بن مروان بســك أول درهم إســلامى بعد أن كانت دولة الإسلام تتعامل بالعملات الفارسية والرومانية

– منع بيع الخمر وأمر بإهراق كل نقطة خمر فى الولايات التى كانت تحت إمرته

– منع النياحة على الموتى وكانت منتشرة فى العراق وقتها

– أمر بقتل الكلاب الضالة حرصاً على سلامة المواطنين

– ســن قوانين تمنع إلقاء القمامة فى المناطق العامة ومنع التبول أو التبرز فيها وعاقب على ذلك

و كل ما سبق على سبيل المثال لا الحصر وقد أفاد الحجاج المجتمع وأنجز فيه إدارياً بشكل كبير وهو ما يدل على التناقض فى شخصية الحجــاج فهو من ناحية رجل إصلاحــى من الطراز الأول ويعمل فى

صالح الدولة عسـكرياً وإدارياً ولكنه من ناحية أخرى متهم بالقسوة الشـديدة والإفراط الشنيع فى سفك الدماء فى حق المخالفين لسياسته ..